

وانجبه بعض الشعراء في العصر الأموي إلى وصف ارتحال الظعن من مكان إلى مكان بالسفن العظيمة التي كانت تسير في أنهار العراق ومصر . وعثرنا لشاعر من محارب على نص طريف صور فيه تصويراً مفصلاً طويلاً مخاوفه من أهوال البحر بعد أن ركب سفينة للغزو .

ووجد الشعراء في العصر العباسي الأول في وصف ارتحالهم إلى المملوحين في السفن ، أو في خروج بعض مملوحيهم بالسفن للترهة النهرية ، وسيلة إلى التجديد في أجزاء القصائد التي تلي المقدمات ، والتي كان الشعراء الجاهليون والأمويون يلمون فيها بالرحلة الصحراوية ، فأكثروا لذلك من وصف رحلات النهرية ، إكثاراً شديداً غلب عليه استعارتهم لأوصاف الإبل والنوق والخيل ، وبعثهم للسفن بها ، حتى ليظن الدارس أنهم كانوا يصفون إبلًا ونوقاً لا سفناً ، ولكن متأخريهم تخففوا إلى حد بعيد من استعارة تلك الأوصاف ، ومن مقارنة السفن بالإبل والنوق ، والمفاضلة بينهما .

وتمسك الشعراء في العصر العباسي الثاني بوصف الرحلة النهرية إلى المملوحين ، وظلوا يستمدون في أوصافهم للسفن من الألفاظ التي تنعت بها الإبل والنوق . وأفاض ابن الرومي في تصوير هواجسه ووساوسه حين وصف رحلته إلى مملوحيه وعودته إلى أهله بالسفينة . واخترع البحري موضوعاً جليداً لم يسبقه إليه أحد من الشعراء ، وهو وصف المعركة البحرية بين أسطول العرب وأسطول الروم وصفاً جيداً بديعاً .

وللنصوص التي ظفرنا بها وسجلناها قيم متعددة لتباين دلالاتها الفنية والحضارية والتاريخية . فهي في مجموعها تكشف لنا عن أن الشعراء العرب أخفقوا في ابتكار ألفاظ ، واختلاق مصطلحات ، لوصف السفن وصفاً حقيقياً وأما وصف المسيب بن علس ، والأعشى يمّون بن قيس الغياصة والغاصة فيظهرنا على أن عرب اليمامة والبحرين في الجاهلية كانوا يحترفون